بسم الله الرحمن الرحيم



الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

بقلم الشيخ

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية / رفحاء

الموقع على الانترنت – مجلة رياض المتقين

www.almotaqeen.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهذا شرح (للأصول الثلاثة) للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

أسأل الله أن يحيينا على التوحيد ، وأن يميتنا على التوحيد

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

تفضل بزيارة موقعي – رياض المتقين

www.almotaqeen.net

ترجمة موجزة للمؤلف

شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

هو العلامة المجدد الإمام ، شيخ الإسلام ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهيبي التميمي .

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة (1115هـ) .

حفظ القرآن الكريم دون بلوغ عشر سنين ، وكانت له مشاركة في فنون كثيرة في التفسير والحديث ، والعقيدة والفقه ، والوعظ .

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ قد وهبه الله فهماً ثاقباً وقدرة على الحفظ وصبراً على القراءة والتحصيل .

له مؤلفات نافعة منها :

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .

وأصول الإيمان .

والأصول الثلاثة .

ومختصر زاد المعاد .

ومختصر الإنصاف .

وكشف الشبهات ، وغيرها كثير .

مات رحمه الله تعالى في أواخر سنة (1206هـ) عن إحدى وتسعين سنة قضاها في ميدان العلم والجهاد والدعوة فرحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له الأجر والمثوبة .

الشيخ

سليمان بن محمد اللهيميد

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

م / (بسم الله الرحمن الرحيم)

ابتدأ المؤلف كتابه بالبسملة :

اقتداء بكتاب الله عز وجل .

وتأسياً بالنبي ε ومراسلاته مثل : (كتاب النبي ε إلى هرقل وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم) 0

وعملاً بحديث (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وفي رواية أقطع) ضعفه الألباني . وفي رواية : (أقطع) ناقص البركة .

(**الله**) هو علم على الباري جل وعلا ولا يسمى به غيره ومعناه : المألوه : أي المعبود محبة وتعظيماً .

- وكل الأسماء الحسنة تضاف إليه :

كما قال تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى) .

وقال ε (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه .

ولذلك تقول : الرحمن من أسماء الله ، ولا تقول الله من أسماء الرحمن . (ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أنه اسم الله الأعظم) .

– (**الله**) لا يعرف أحد تسمى به لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وهو مختص بالله لفظاً ومعنى .

لفظاً : أي أن هذا اللفظ لا يصح أن يسمى به أحد .

ومعنى : أي أن الصفة التي تضمنها هذا الاسم وهي الإلهية لا يصلح شيء منها للمخلوق .

(**الرحمن**) اسم من أسماء الله المختصة به ، لا يطلق على غيره .

والرحمن معناه : المتصف بالرحمة الواسعة ، لأن (فعلان) في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء ، كما يقال : رجل غضبان إذا امتلأ غضباً .

(**الرحيم**) المراد به ذو الرحمة الواصلة .

وإذا جمعا . الرحمن الرحيم . صار المراد بالرحمن : الموصوف بالرحمة الواسعة ، والمراد بالرحيم : الموصل رحمته من يشاء من عباده .

ورحمة الله واسعة قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) .

واقتصر المؤلف على البسملة لأنها أبلغ الثناء والذكر .

م / (اعلم رحمك الله) .

(**اعلم**) كلمة يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها .

أي انتبه فإني سأذكر لك أشياء مهمة في أصول الدين .

– فيه استحباب الانتباه والاستيقاظ للعلم ولما يلقى .

(**رحمك الله**) دعاء لك بالرحمة ، أي : غفر الله لك ما مضى ، ووفقك وعصمك فيما يستقبل وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة فالمغفرة لما مضى ، والرحمة سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل .

قوله (رحمك الله) دعاء من المؤلف بالرحمة للقارىء :

أولاً : دلالة على حرصه وشفقته واهتمامه بالطالب .

ثانياً : الدعاء له بالعلم والخير والهداية .

– فيه أنه ينبغي للمعلم أن يحرص على المتعلم وأن يشفق عليه ويرفق به .فمن رفق بالناس رفق الله به كما في دعاء النبي

م / (أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ، الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

أي يلزم كل فرد من أفراد المكلفين ، ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً ، وهذه المسائل التي ذكرها المؤلف تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها .

الأولى : العلم :

والعلم إذا أطلق فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه .

والعلم الشرعي على قسمين : **فرض عين . وفرض كفاية .**

وما ذكره رحمه الله : فهو فرض العين على الذكر والأنثى والحر والعبد أن يعرفه لا يعذر أحد بجهله .

وفي الحديث عن أنس . قال : قال رسول الله ε (طلب العلم فريضة على كل مسلم) . رواه ابن ماجه

قال أحمد : يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ، قيل له : مثل أي شيء : قال : الذي لا يسعه جهله صلاته وصيامُه .

فضل العلم :

1) قال الله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : (هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء) .

2) وقال تعالى في شرف العلم لنبيه ε : ﴿ وقل ربي زدني علماً ﴾ .

قال القرطبي رحمه الله : (فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ε أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم) .

3) وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

4) عن معاوية τ قال : قال رسول الله ε : (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين) رواه البخاري ومسلم

5) عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) . رواه مسلم

م / (وهو معرفة الله) .

فسر العلم بأنه معرفة الله ، أي : أنه يجب على المسلم والمسلمة أن يعرف كل واحد ربه بذاته وصفاته وأفعاله ، وأنه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

وأن يعرف العبد بأن الله تبارك وتعالى هو خالقه ورازقه والمتصرف في أمره بل وفي الكون كله .

وهو المستحق لأن يعبد وحده دون سواه ، وكل عبادة صرفت لغيره فهي عبادة باطلة .

ومعرفته تكون : بالنظر في آياته ومخلوقاته كالشمس والقمر والليل والنهار وغيرها .

قال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيانها وزيناها ومالها من فروج) .

وقال تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) .

وقال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ) .

م / **(ومعرفة نبيه)**

أي يعرف المسلم والمسلمة نبيه وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المكي .

ويعرف أنه يجب طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر .

ويعرف أنه يجب محبته فوق محبة النفس والمال والولد .

قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ . **(وسيأتي تفاصيل هذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة)** .

م / **(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)** .

الإسـلام : بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر الله ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل .

قال تعالى عن إبراهيم : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ .

وقال يعقوب لبنيه (إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

والإسـلام : بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ε يختص بما بعث به محمد ε ، لأن ما بعث به النبي ε نسخ جميع الأديان السابقة ، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم .

وهـذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله .

قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

وهذا الإسـلام هو الدين الذي امتن الله به على محمد ε وأمته .

قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

فمن لم يتبع محمد عليه الصلاة والسلام ويؤمن به فهو كافر .

(بالأدلة)

أي معرفة دين الإسلام الذي تعبد الله الخلق به بالأدلة من الكتاب والسنة .

والأدلة : جمع دليل ، والدليل هو: ما يوصل به إلى المطلوب .

وفيه إشارة إلى أنه لا يصلح فيه التقليد .

والتقليد هو : اتباع من ليس قوله حجة . ليخرج بذلك اتباع الرسول ε فليس تقليداً لأنه اتباع للحجة وكذا اتباع أهل الإجماع لأن الإجماع حجة 0

قال أبو عمر بن عبد البر وغيره : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن معرفة الحق بدليله.

قال ابن القيم : وهذا كما قال أبو عمر فإن الناس لا يختلفون في أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد 0

م / **(الثانية العمل به)**

فالعمل هو : ثمرة العلم ، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به ، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل .

واعلم أنه لا خير في علم لا يقترن بعمل مخلص متابع الرسول ε في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وسائر شئون حياته وذلك بأن يؤدى حق الله وحق العبيد .

واعلم أن العلم إن وجد لنفسه داراً مكث وإلا رحل عنك ، ودار العلم العمل ، والعلم لا يثبت إلا بالعمل .

قال علي بن أبي طالب τ : {هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل } . ذكره الخطيب .

وقد ذم الله اليهود لانهم لم يعملوا بعلمهم وشبههم بالحمار يحمل أسفاراُ .

قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً) .

قال ابن كثير : يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل ثم لم يعملوا بها : مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه ، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير ، لأن الحمار لا فهم له ، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوه .

ومن لم يعمل بعلمه فإنه سيكون حجة عليه .

كما جاء في الحديث (لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع وذكر منها .. وعن علمه ماذا عمل به) .

وقال بعض السلف : { من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم }.

والذي يعمل بعلمه يثبت علمه .

قال بعض السلف : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم .

نماذج مشرقة في تطبيق العمل بالعلم :

1- عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . رضي الله عنهم . عن أبيه : أن رسول الله ε قال : (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً) .
رواه البخاري ومسلم

2- ولما علم النبي ε علياً وفاطمة : أن يسبحا ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين وقال : (فهو خير لكما من خادم) قال علي τ : ما تركته منذ سمعته من النبي ε ، قيل له : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صفين . رواه مسلم

3- عن ابن عمر τ قال : سمعت رسول الله ε قال : (ما حق امريء مسلم له شيء يوصي فيه ؛ يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة) قال عبد الله بن عمر τ : ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ε قال ذلك إلا وعندي وصيتي) . رواه مسلم

4- **قال البخاري** : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام ، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً .

5- عن أبي أمامة τ قال : قال رسول الله ε : (من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) .

قال ابن القيم . رحمه الله . : بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال : ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه

6- قال الإمام أحمد بن حنبل : (ما كتبت حديثاً إلا قد عملت به حتى مرَّ بي أن النبي ε احتجم وأعطى أبي طيبة ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً) .

فالعمل بالعلم دليل على أن هذا علم مبارك نافع .

وكان السلف يستعينون بحفظ الأحاديث بالعمل . **قال وكيع** : '' إذا أردت أن تحفظ حديثاً فاعمل به '' .

م / (الثالثة : الدعوة إليه) .

فإذا حصل له بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعمل به ، فيجب عليه السعي في الدعوة إليه كما هي طريقة الرسل وأتباعهم.

قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾ .

وأعلى مراتب الدعوة : الدعوة إلى الله ونفي الشرك والفساد ، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة ، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه .

قال تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

فضل الدعوة إلى الله والدلالة على الخير :

1) – قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لعلي : (... ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) متفق عليه .

قال النووي : { حمر النعم } : هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه ، وفي هذا الحديث بيان فضل العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة) . أ . هـ

2) . وعن أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً) . رواه مسلم.

3) . وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري τ قال : قال رسول الله ε : (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) . رواه مسلم .

وهذا لا يخص العلماء فقط ، بل كل من علم مسألة عليه أن يبلغها .

شروط الدعوة إلى الله :

1. أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه .

قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ .

لأنه قد يدعو إلى شيء يظن أنه واجب وهو في الشرع غير واجب ، فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به ، وقد يدعو إلى ترك شيء يظن أنه محرم ، وهو في دين الله غير محرم .

2. أن يكون على بصيرة بحال المدعو :

عن ابن عباس τ أن رسول الله ε لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ...) . متفق عليه

فأخبره النبي ε بذلك لأمرين :

الأول/ أن يكون بصيراً بأحوال من يدعو .

الثاني/ أن يكون مستعداً لهم ، لأنهم أهل كتاب وعندهم علم .

3. الدعوة إلى الله بالرفق والحكمة والعفو .

إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هو الدعوة إلى الله تعالى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة.

يقول الله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى عن رسول الله ε : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾

وعن ابن مسعود τ قال : كأني أنظر إلى رسول الله ε يحكي نبياً من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) رواه البخاري .

وعن عائشة عن النبي ε أنه قال : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه , ولا ينزع من شيء إلا شانه) رواه مسلم

م / (الرابعة : الصبر على الأذى فيه) .

لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه ، فقد تحمل أمراً عظيماً ، وقام مقام الرسل في الدعوة إلى الله .

والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر . ذلك أن أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم ومألوفاتهم .

وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة ، فلهذا يقاومونها بكل قوة ، ويحاربون دعاتها بكل سلاح ، مدلين بأنهم أكثر مالاً وأعز نفراً ، وأقوى نفوذاً ، وأوسع سلطاناً .

فأذية الداعية طبيعة البشر :

قال الله تعالى لنبيه : **[وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا]** .

والرسل أوذوا بالقول والفعل ، قال الله :**[وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون)** .

بل إن منهم من تعرض للقتل ، قال سبحانه : **(أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)** .

ومن قام بما قام به الرسل ناله ما نالهم ، قال سبحانه : **[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا]** .

وبالصبر مع التقوى لا يضر كيد العدو قال تعالى : **{ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }** .

قال تعالى :﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

قال ابن كثير : (يقول الله تعالى آمراً عبيده فيم يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة) .

وقال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ .

عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : (من يرد الله به خيراً يصب منه) .

وعن أبي مالك الأشعري τ أن رسول الله ε قال :(... والصبر ضياءً) . رواه مسلم .

فضل الصبر :

لقد ذكر الله الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ومناسبات عديدة ، وما ذاك إلا لفضله وعظمته وثمرته .

وقد نقل العلامة ابن القيم في مدارج السالكين عن الإمام أحمد : (الصبر في القرآن في نحو تسعين موضع) .

وللصبر فضائل عظيمة :

أولاً : **معية الله للصابرين** .

قال تعالى : [إن الله مع الصابرين] .

ثانياً : **محبة الله لهم** .

قال تعالى : [والله يحب الصابرين] .

ثالثاً : **إطلاق البشرى لهم** .

قال تعالى : [وبشر الصابرين] .

رابعاً : **إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم** .

قال تعالى : [ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون] .

خامساً : **ضمان المدد والنصرة لهم** .

قال تعالى : [بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ...] .

سادساً : **استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم** .

قال تعالى : [وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً] .

وقال تعالى : [والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار] .

سابعاً : **حفظهم من كيد الأعداء** .

قال تعالى : [وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً] .

ثامناً : **الحصول على درجة الإمامة في الدين** .

قال ابن تيمية : " بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . ثم تلا هذه الآية [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون] " .

تاسعاً : **أنه من أسباب النصر** .

– مشاق الدعوة إلى الله التي أمر الله بالصبر عليها تتمثل في :

أولاً : تتمثل في إعراض الخلق عن الداعية .

رأينا ذلك مع نوح u حيث قال مناجياً ربه : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ﴾ .

ثانياً : وتتمثل متاعب الدعوة في أذى الناس بالقول والفعل .

قال تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

ثالثاً :وتتمثل مشاق الدعوة كذلك في طول الطريق واستبطاء النصر .

فقد جعل الله العاقبة للمتقين ، وكتب النصر لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين ، ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها ولا تشرق شمسه إلا بعد ليل طويل .

يقول تعالى : ﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ .

م / (والدليل قوله تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾) .

أي الدليل على هذه المراتب الأربع قوله تعالى : ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر ...... ﴾ .

(**والعصر**) فأقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر ، وهو محل الحوادث من خير وشر .

(**إن الإنسان لفي خسر**) أي في هلاك وخسارة ، والمراد جنس الإنسان .

(**إلا الذين آمنوا**) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم .

(**وعملوا الصالحات**) بجوارحهم ، والعمل لا يكون صالحاً إلا بشرطين : إخلاص لله ، ومتابعة للنبي ε .

(**وتواصوا بالحق**) وهو أداء الطاعات وترك المحرمات .

(**وتواصوا بالصبر**) أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

ففي هذه السورة الكريمة : التنبيه على أن جنس الإنسان كله في خسارة إلا من استثنى الله وهو من كَمُلَت قوته العلمية بالإيمان بالله ، وقوته العملية بالطاعات ، فهذا كماله في نفسه ثم كمل غيره بوصيته له في ذلك ، وأمره به وبملاك ذلك ، وهو الصبر ، وهذا غاية الكمال ومعنى ذلك في القرآن كثير .

قال ابن القيم : (جهاد النفس أربع مراتب :

أحدها / أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق ، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها شقيت في الدارين .

الثانية / أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة / أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

الرابعة / أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق) . أ . هـ

م (قال الشافعي : (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم))

ومراده رحمه الله : أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله والصبر على ذلك ، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة .

وقول الشافعي : (لو ما أنزل الله على خلقه ...) **لماذا ؟**

لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران ، وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع : الإيمان . العمل الصالح . التواصي بالحق . التواصي بالصبر .

قال شيخ الإسلام : (وهو كما قال . أي الشافعي . فإن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر) . أ . هـ

م / (وقال البخاري ـ رحمه الله ـ : بابٌ العلمُ قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل) .

استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل . فترجم لذلك . وذلك أن الله أمر نبيه ε بأمرين : بالعلم ثم العمل .

والمبدوء به العلم في قوله : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل .

وسئل سفيان عن فضل العلم **فقال** : (ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ .

م / (واعلمْ رحمكَ اللهُ أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ تعلّمُ ثلاث هذهِ المسائلِ والعملُ بهِنّ) .

هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه ، فيجب على كل مكلف من ذكر وأنثى وحر وعبد أن يتعلمهن ويعتقد معانيهن والعمل بمدلولهن فإن العمل هو ثمرة العلم .

م / (الأولى/ أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾) .

(**أن الله خلقنا**) أي من العدم .

قال تعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ .

فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ .

وأما الدليل العقلي على أن الله خلقنا :

فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ .

فالقسمة تقتضي واحد من ثلاثة أمور :

أولاً : إما أننا خلقنا من غير خالق ، وهذا لا يمكن .

ثانياً : وإما أننا خلقنا أنفسنا ، وهذا فاسد ، لأننا معدومون ، والمعدوم لا يمكن أن يكون قادراً على إيجاد نفسه .

ثالثا : فتعين الأمر الثالث ، وهو أننا مخلوقون وخالقنا الله سبحانه .

(**ورزقنا**) فلم يتركن جياعاً ولا عرايا .

قال تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ .

قوله ε في الجنين (يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد) .

(**ولم يتركنا هملاً**) أي عبثاً ولعباً ، بل خلقنا لحكمة عظمى .

قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو ﴾ .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

(﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ﴾ أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة منا ، **وقيل**: للعبث ، أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب) . أ.هـ

وقال تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ .

قيل : لا يُبعث .

وقيل: لا يؤمر ولا يُنهى .

قال ابن كثير : (والظاهر أن الآية تعم الحالين ، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا يُنهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور ومنهي في الدنيا , محشور إلى الله في الدار الآخرة) . أ.هـ

وأما الدليل العقلي :

فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل ، بل هو عبث محض ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل . عليهم الصلاة والسلام . ثم تكون النتيجة لا شيء ، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل .

- فالله منزه عن كل عيب ونقص ، ومن ذلك أن يخلق الخلق من غير حكمة .

(**بل أرسل إلينا رسولاً**) .

هو محمد ε أرسله الله بالهدى ودين الحق .

(**فمن أطاعه دخل الجنة**) .

قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ .

وقال الرسول ε : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، فقيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار) . رواه البخاري

(**ومن عصاه دخل النار**) .

قال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ .

وقال ε في الحديث السابق : (ومن عصاني دخل النار) .

قال تعالى : (**إنا أرسلنا إليكم**) يا أمة محمد (**رسولاً**) هو محمد ε (**شاهداً عليكم**) بأعمالكم (**كما أرسلنا إلى فرعون**) الطاغية (**رسولاً**) وهو موسى υ (**فعصى فرعون الرسول**) أي عصى موسى وكذبه (**فأخذناه**) أي فرعون (**أخذاً وبيلاً**) أي شديداً ، وذلك بإغراقه وجنوده في البحر فلم يفلت منهم أحد ، وهذه عاقبة المكذبين الضالين .

فالتحذر أمة محمد ε من تكذيب رسولها فيصيبها ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

قال ابن كثير : (وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران .

م / (الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾) .

هذه المسألة الثانية مما يجب علينا علمها ، أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، يعني فضلاً عن غيرهما من سائر المخلوقات ، لأن العبادة لا تصلح إلا لله .

(**لا ملك مقرب**) حتى لو كان جبريل الذي هو أشرف الملائكة وأفضلهم ، لا يجوز أن يُجعل شريكاً مع الله .

(**ولا نبي مرسل**) حتى لو كان النبي ε الذي هو سيد البشر ، لا يجوز أن يُجعل شريكاً مع الله .

والشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به ، وهو هضم للربوبية ، وتنقص للألوهية ، وهو : (تسوية غير الله بالله في ما هو من خصائص الله) .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إنه من يشِرك باللهللهلله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

وقال ε : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ... الإشراك بالله ...) . متفق عليه

وقال ε : (اجتنبوا السبع الموبقات ... فذكر منها : الشرك) . متفق عليه

والشرك لا يرضاه الله ، بل أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما :

قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وعلى الإنسان أن يخاف من الوقوع في الشرك :

قال الخليل υ : ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ .

والشرك ينقسم إلى قسمين :

1. شرك أكبر .
2. شرك أصغر .

النوع الأول : الشرك الأكبر .

الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة ، وصاحبه إن لقي الله به فهو خالد في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .

النوع الثاني : الشرك الأصغر :

وصاحبه إن لقي الله فهو تحت المشيئة ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه ولكن مآله إلى الجنة ، لأن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار .

ومن أنواع الشرك الأصغر : الحلف بغير الله ، إن لم يقصد تعظيم المحلوف به وإلا صار شركاً أكبر . عن ابن عمر τ قال : قال رسول الله ε : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه أبو داود , ومنه يسير الرياء .

قال النبي ε :(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) فسئل عنه ، فقال :(الرياء) رواه أحمد

م / (الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب . والدليل قوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

المسألة الثالثة مما يجب علينا علمها الولاء والبراء ، أي أن من أطاع الرسول فيما أمر به واجتنب ما نهي عنه ووحد الله في عبادته فإنه لا يجوز أن يوالي وأن يحب المحادون لله وهم الكفار , بل يقاطعهم , ويصادمهم ويعاديهم أشد العداوة ، ولو كان من حاد الله ورسوله ابنك أو أباك أو أخاك أو عشيرتك فإن الله قطع التواصل والتوادد والتعاقل والتوارث وغير ذلك من الأحكام .

وقد جاءت نصوص كثيرة تبين تحريم موالاة الكفار :

أ) . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ﴾ وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره .

ب) . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

الأدلة من السنة المطهرة :

أ) . عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ε :(من تشبه بقوم فهو منهم) رواه أبو داود وأحمد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإذا كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم .)

فتبين من ذلك أن ترك هدي الكفار والتشبه بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم من المقاصد والغايات التي أسسها وجاء بها القرآن الكريم وفصلها النبي الكريم ε لأمته .

وهذا باب واسع نذكر منه نتفاً قليلة لتكون على بصيرة وتقف على أهمية هذا الأمر وخطورته ، حيث أنه لم يقتصر على العادات ، بل تعداها إلى غيرها من العبادات والآداب :

- عن مسروق عن عائشة : (أنها كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته وتقول : إن اليهود تفعله) .رواه البخاري
- وعن عمرو بن العاص τ أن رسول ε قال : (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر) .رواه مسلم .
- وعن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : (لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون) . رواه أبو داود
- وعن جرير بن عبد الله البجلي τ قال : قال رسول الله ε : (اللحد لنا والشق لغيرنا) . رواه أبو داود وأحمد .

وفي رواية (والشق لأهل الكتاب) .

– وعن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) . متفق عليه

– وعن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ولا النصارى) . رواه أحمد

فثبت من كل ما تقدم أن مخالفة الكفار وترك التشبه بهم من مقاصد الشريعة .

(**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**) أي لا يمكن أن ترى أيها السامع جماعة يصدقون بالله واليوم الآخر يحبون ويوالون من عاد الله ورسوله وخالف أمرهما . لأن من أحب الله عادى أعداءه ، ولا يجتمع في قلب واحد حب الله وحب أعدائه .

(**ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**) أي ولو كان هؤلاء المحادون لله ورسوله أقرب الناس إليهم ، كالآباء والأبناء ، والإخوان ، والعشيرة .

(**أولئك**) أي أهل هذا الوصف .

(**الذين كتب في قلوبهم الإيمان**) أي كتب لهم السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته .

(**وأيدهم**) أي قواهم .

(**بروح منه**) أي بوحيه ومعرفته ومدده الإلهي ، وإحسانه الإلهي .

(**ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**) أي ويدخلهم في الآخرة جنات النعيم التي من أوصافها تجري من تحت قصورها الأنهار ، ماكثين فيها أبد الآبدين .

(**رضي الله عنهم ورضوا عنه**) ومن أعظم نعيمهم أن يحل عليهم رضوان الله فلا يسخط عليهم أبداً ، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات ووافر المثوبات .

قال ابن كثير : في قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم .

م / (**اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ومعنى يعبدون يوحدون**).

(**اعلم أرشدك الله**) أي وفقك الله لما ينفعك في دنياك وآخرتك .

والرشد : الاستقامة على الطريق الحق ، ضد الغي .

(**لطاعته**) الطاعة : موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور .

(**أن الحنيفية**) وهي الملة المائلة عن الشرك ، المبنية على الإخلاص لله عز وجل .

والحنيف : مشتق من الحنف ، وهو الميل . فالحنيف : المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد.

والحنيف : المستقيم المستمسك بالإسلام المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه ، وكل من كان على دين إبراهيم .

قال تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ .

(**الملة**) الدين .

(**أن تعبد الله مخلصاً له الدين**)

العبادة في اللغة : الذل والخضوع .

وفي الشرع : قال شيخ الإسلام : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) .

قوله (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) أي الحنيفية وشريعة الخليل إبراهيم υ ، وجميع الأنبياء هي ما قررها المصنف (**أن تعبد الله مخلصاً له الدين**) فهذه هي حقيقة ملة إبراهيم عبادة الله بالإخلاص .

والإخلاص : أن يقصد الإنسان بعمله رضا الله لا أمراً دنيوياً .

قال تعالى (أن اتبع ملة إبراهيم) .

وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) .

فتبرأ أولاً من المعبودات الباطلة ، وأثبت العبودية للذي فطره وهو الله (وهذا معنى لا إله إلا الله) .

فالعبادة لا تسمى عبادة وتنفع صاحبها عند الله إلا إذا كانت خالصة لله ليس فيها شرك ولا رياء ولا سمعة .

قال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾.

وقال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ .

وفي الحديث يقول الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك , من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) . رواه مسلم عن أبي هريرة

وعند ابن ماجه (... فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) .

ومن أعظم ثمرات الإخلاص أنه سبب للنجاة من الذنوب والسيئات .

كما قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) .

وسبب للنجاة من الشيطان .

كما قال تعالى (إلا عبادك منهم المخلصين) .

وعبادة الله وإخلاص ذلك هي أول الواجبات على العبد ، وهي حق الله المقدم على سائر الحقوق .

قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ... ﴾ .

وفي حديث معاذ τ أن النبي ε قال : (يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) .

وعبادة الله واجبة على الإنسان من حين يبلغ سن التكليف إلى أن يموت .

قال تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

من لم يعبد الله صار عبداً للشيطان .

قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾

(**وبذلك**) أي إخلاص العبادة لله . (**أمر جميع الناس**) أي جميع الخلق من الإنس والجن .

كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) .

(**وخلقهم لها**) كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

م / (وأعظم ما أمر الله به التوحيد : وهو إفراد الله بالعبادة)

التوحيـد : عرفه المؤلف بأنه إفراد الله بالعبادة .

وهناك تعريف أعم : وهو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله به :

- لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله .
- وهو حق الله ولهذا بدأ به النبي ε في الدعوة إلى الله وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به .
- ولأن المخلوق مخلوق من أجل توحيد وعبادة الله تعالى .

وينقسـم التوحيد (كما هو معلوم) إلى ثلاثة أقسـام :

الأول / توحيد الربوبية : وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير .

الثاني / توحيد الألوهية : وهو إفراد الله تعالى بالعبادة .

الثالث / توحيد الأسماء والصفات : وهو إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ε

ومراد المؤلف هنا : توحيد الألوهية ، وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ε واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم .

- فهذا التوحيد (الألوهية) هو أول دعوة الرسل , وأول منازل الطريق , وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.

قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾

وقال هود υ لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وقال ε : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) . متفق عليه

فضـائل التوحيـد :

1 . أنه أكبر دعامة للرغبة في الطاعة .

لأن المَوَحِّد يعمل لله سبحانه وتعالى ، وعليه فهو يعمل سراً وعلانية ، أما غير الموحد كالمرائي مثلاً ، فإنه يتصدق ويصلي ويذكر الله إذا كان عنده من يراه فقط ، ولهذا قال بعض السلف : (إني لأود أن أتقرب إلى الله بطاعة لا يعلمها إلا هو) .

2 . أن الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون .

كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ لم يلبسوا ﴾ أي لم يخلطوا .

قوله تعالى : ﴿ بظلم ﴾ الظلم هنا مقابل الإيمان وهو الشرك .

3 . أن التوحيد يكفر الذنوب .

عن أنس τ قال : سمعت رسول الله ε يقول : (قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) . رواه الترمذي

لأن حسنة التوحيد عظيمة تكفر الخطايا الكبيرة إذا لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً .

4 . إن من فضل التوحيد أنه سبب لدخول الجنة بغير حساب .

لحديث ابن عباس τ عن النبي ε أنه قال : (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ... فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ... ثم قال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) . متفق عليه

5 . أن الله أثنى على الأنبياء بتوحيدهم وسلامتهم من الشرك .

قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً حنيفاًو لم يك من المشركين ﴾

وقال تعالى : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾

م / (وأعظم ما نهى عنه الشرك, وهو دعوة غيره معه, والدليل قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾) .

أعظم ما نهى الله عنه الشرك :

- لأنه أعظم ذنب عصي الله به ، وأي ذنب أعظم من أن يجعل مع الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته .
- وهو هضم للربوبية وتنقص للألوهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وهو أقبح المعاصي ، لأنه تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه .

ولذلك رتب الله عليه أموراً كبيرة :

1. أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه .

   قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

2. أن الله أخبر أن الله حرم الجنة على المشرك ، وأنه مخلد في النار .

   قال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ .

3. أن الشرك يحبط جميع الأعمال .

   قال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ .

4. أن المشرك حلال الدم والمال .

5. أن الشرك أكبر الكبائر .

   قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

م / قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) .

هذا أمر بعبادة الله عز وجل والأمر يقتضي الوجوب ، وتحريم أن يشرك مع الله شيء .

وقوله (**شيئاً**) نكرة في سياق النهي ، فتعم كل شيء ، لا نبياً ولا ملكاً ولا ولياً ، بل ولا أمراً من أمور الدنيا ، فالإنسان إذا كان همه الدنيا كان عابداً لها كما قال ε (تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة) .

م / فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ε .

(**فإذا قيل لك**) أي سألك سائل ، والمؤلف رحمه الله أورد هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن يتنبه الإنسان لها ، لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة .

الأصول : جمع أصل ، والأصل لغة : ما يبنى عليه غيره ، أو ما يتفرع عنه غيره ، كأصل الجدار .

وإنما قال (**هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها**) ، لأنها هي الأصول التي يُسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة .

عن أنس بن مالك τ قال : قال رسول الله ε : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ε ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر فيقال له :

ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) . رواه البخاري

م / (فإذا قِيلَ لَكَ مَنْ رَبُّكَ ؟ فقلْ رَبِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميع العالَمين بنعمه ، وهو معبودي ليسَ لي معبودٌ سِواهُ ، والدليل قوله تعالى : ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالَمين ﴾ وكلُّ ما سوى اللهِ عَالَمٌ وأنَا واحدٌ مِنْ ذلكَ العالَم) .

هذا الأصل الأول :

(**فإذا قيل لك من ربك**) أي : من خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه .

(**فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين ، قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾**)

أي ربي الله ، والتربية عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربي ، فالله عز وجل هو الذي رباني ورعاني وأمدني بالنعم كما أنه رب جميع العالمين .

والعالَمين :جمع عالَمْ ، وهو كل موجود سوى الله عز وجل .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ رب العالمين ﴾ الرب : هو المربي جميع العالمين ، وهم من سوى الله ، بخلقه إياهم وإعداده لهم الآلات وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يكن لهم البقاء ، فما بهم من نعمة فمنه تعالى) .

وتربية الله لخلقه نوعان : عامة وخاصة

فالعامة : هي خلقه للمخلوقين ، ورزقهم ، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

والخاصة : تربيتة لأوليائه , فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له , ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه .

وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير , والعصمة من كل شر , ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب .

(**وهو معبودي ليس لي معبود سواه**) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ، ومحبةً وتعظيماً , أفعل ما يأمرني به , وأترك ما ينهاني عنه فليس لي أحد أعبده سوى الله تعالى ، لأنه هو الذي رباني فهو المستحق للعبادة .

(**وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم**)

عالم : جمع عوالم , وعالمون , فالوجود قسمان : رب , ومربوب

فالرب : هو المالك سبحانه المتفرد بالربوبية , والإلهية .

والمربوب : هو العالم , وهو كل من سوى الله من جميع الخلائق .

وأنا أيها الإنسان واحد من جملة تلك المخلوقات المربوبة المتعبدة , بأن يكون الله وحده هو معبودها وحده .

م / (فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ، وما فيهن وما بينهما ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾.

وقوله تعالى : (**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) .

أي : فإذا قال لك قائل : بم استدللت به على معرفتك معبودك وخالقك ؟

فقل : بآياته ومخلوقاته التي نصبها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والإلهية .

والآيات : جمع آية ، والآية : العلامة والدلالة والبرهان والحجة .

والمخلوقات : جمع مخلوق ، وهو ما أوجد بعد العدم .

وآيات الرب سبحانه هي : دلالاته وبراهينه التي بها يعرفه العباد ، ويعرفون أسماءه وصفاته ، وتوحيده وأمره ونهيه .

قال الشاعر :

فواعجباً كيف يعصى الإله … أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي … كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية … تدل على أنه واحد

فآيات الله كثيرة , ومخلوقاته عظيمة ، كلها تدل على أنه الرب العظيم ، وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق لأن يعبد ، وأنه الذي يخلق ما يشاء ، ويعطي ويمنع وينفع ويضر ، بيده كل شيء سبحانه وتعالى ، فهو المستحق بأن نعبده بطاعته ودعائه .

(**ومن آياته الليل والنهار**) . فهذا من أعظم الآيات الدالة على أنه مستحق للعبادة .

قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) .

وقال تعالى (واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) .

وقال تعالى (وسخر لكم الليل والنهار) .

فوجه كونهما من آيات الله :

أولاً : تعاقبهما، فهذا يذهب، وهذا يأتي بعده بانتظام كامل وتناسق بديع.

ثانياً : اختلافهما بالطول والقصر .

﴿ ومن آياته الشمس والقمر ﴾

الشمس ونورها وإشراقها ، والقمر وضياؤه وتقدير منازله في ملكه واختلاف سيره في سمائه ، وكونهما يجريان هذا الجريان المتقن ، قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ كل هذا يدل على وحدانية موجبها تعالى وتقدس .

(**ومن مخلوقات الله السموات السبع والأرضون السبع**) أي ومن أعظم آياته المشاهدة بالأبصار السموات والأرضون .

قال تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) .

وقال تعالى (والسماء ذات الحبك) .

وقال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) .

السموات : السبع وسعتها وارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ، ودوران ملكها وارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها .

والأرضون السبع في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها وهوائها وما فيها من المنافع ، وسعة أرجائها وما فيها من أصناف المخلوقات من الحيوانات والنباتات وسائر الموجودات وغير ذلك دال على وحدانية الباري جل جلاله ، وعلى تفرده بالخلق والتدبير .

شرح الآية :

(**ومن آياته**) الدالة على كمال قدرته ، وعلى استحقاقه للعبودية .

(**الليل والنهار والشمس والقمر**) سبق معنى ذلك .

(**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر**) فإنهما مدبران مسخران مخلوقان .

(**واسجدوا لله الذي خلقهن**) أي اعبدوه وحده ، لأنه الخالق العظيم ، ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات .

(**إن كنتم إياه تعبدون**) فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين لله .

الآية الثانية :

(**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام**) ابتداء من الأحد ونهاية في يوم الجمعة ..

(**ثم استوى على العرش**) أي علا وارتفع . والعرش مخلوق عظيم

(**يغشي الليل النار يطلبه حثيثاً**) أي : يغطي كل واحد منهما الآخر فيذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا. وكل منهما يطلب الآخر طلبًا (**حثيثاً**) أي : سريعًا لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا. وإذا جاء هذا ذهب هذا ▪

(**والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره**) أي : مذلالات جارية في مجاريها بتسخير الله تعالى .

(**ألا له الخلق والأمر**) يعني : أن الله – جل وعلا – متفرد بالخلق ومتفرد بالأمر، فله الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات، وله الأمر المتضمن للشرائع والنبوات .

م / (والرب هو المعبود , والدليل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال ابن كثير : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) .

معنى كلمة الرب في أصل اللغة : مشتقة من التربية ، وهي إصلاح شؤون الغير ورعاية أمره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ ، فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

وتطلق كلمة الرب على المالك والمصلح .

وتطلق على المعبود ، أي هو الذي يستحق أن يعبد ، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة .

لماذا كان الله هو الرب المعبود وحده دون سواه ؟

هناك دليل نقلي ودليل عقلي .

أما الدليل النقلي :

فقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ... ﴾ .

شرح الآية :

قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) هذا أول أمر في القرآن الكريم ، وهو الأمر بعبادة الله عز وجل ، لأنه هو الخالق لجميع الناس ، والخالق من العدم هو المستحق للعبادة .

(**لعلكم تتقون**) قال السعدي : **يحتمل** : أن المعنى : إذا عبدتم الله وحده ، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه ، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك ، **ويحتمل** : أن يكون المعنى أنكم إذا عبدتم الله صرتم من المتقين الموصوفين بالتقوى ، وكلا المعنيين صحيح ، وهما متلازمان . **وقيل** : المعنى خلقكم لتتقوه .

(**الذي جعل لكم الأرض فراشاً**) هذا من باب تعديد أصناف النعم ، فجعل الله الأرض فراشاً موطئاً يستقر عليها استقراراً كاملاً .

(**والسماء بناء**) أي جعلها بمنزلة البناء وبمنزلة السقف ، كما قال تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) .

(**وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم**) المراد بقوله (السماء) العلو ، لأن المطر ينزل من السحاب .

أي أنزل من السماء مطراً عذباً فراتاً أنزله سبحانه بقدرته ، فأخرج بذلك المطر أنواع الثمر والفواكه والخضار .

(**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**) أنداداً : جمع ند ، وهو الكفء والنظير والمثيل . ، أي فلا تجعلوا لله أشباهاً ونظراء من المخلوقين فتعبدونهم كما تعبدون الله ، وتحبونهم كما تحبونه ، وهم مثلكم مخلوقون مرزوقون مدبرون ، وأنتم تعلمون : أن الله ليس له شريك ولا نظير ، لا في الخلق والرزق والتدبير ، ولا في الألوهية والكمال .

وأما الدليل العقلي :

فإن من معاني كلمة (رب) المعبود ، والمعبود هو الإله ، والإله هو المتصف بجميع الصفات الكاملة والقدرات الباهرة حتى لا يعجزه شيء ، ولا يلحقه عيب أو نقص ، وهذه المرتبة لا ينالها مخلوق على الإطلاق ، لأن كل مخلوق مهما عظمت منزلته فهو عاجز وناقص لا محالة ، فلزم أنه لا إله إلا الله كما لزم أنه لا معبود سوى الله ، كما لزم أنه لا رب سوى الله

م / (وَأَنْواعُ العِبَادةِ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثلُ الإسلامِ ، والإيمانِ ، والإحسانِ) .

لما بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له بين فيما يأتي شيئاً من أنواع العبادة .

تعريف العبادة :

العبادة في اللغة بمعنى الذل والخضوع وما يشاكله من الطاعة والانقياد .

وفي الشرع عرفها العلماء بتعاريف كثيرة ، وأحسن وأجمع ما عرفت به هو ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله :

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الظاهرة والباطنة .

وهو من أشمل ما عرفت به ، فكل فرد من أفراد العبادة داخل تحت هذه العبارة ، فالعبادة شملت جميع أنواع الطاعات) .

(**التي أمر الله بها**) **نقول** : العبادات مأمور بها ، ولكن أحياناً أمر إيجاب وأحياناً أمر استحباب كما هو معروف في علم أصول الفقه (أن المستحب مأمور به لكن لا على وجه الإلزام) .

ومما يدل على أن المستحب مأمور به قوله تعالى ﴿ وافعلوا الخير ﴾ .

(مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان)

هـذه الثلاثـة هي مراتـب الـدين وأصوله ، كما جـاء في حـديث جبريـل أنه سأل النبي ε مـا الإسـلام ، ثم قـال : فأخبرني عـن الإيمان ... ثم قال له : فأخبرني عن الإحسان ... ثم قال ε : (... هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) . رواه مسلم

فجعل النبي ε هذه الأشياء هي الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله .

- **الإسلام ، والإيمان** :

الإسلام بالمعنى العام : هـو التعبـد لله بمـا شرعه مـن العبـادات الـتي جـاءت بها رسله منـذ أن أرسـل الله الرسـل إلى أن تقـوم الساعة ، فيشمل ما جاء به نوح υ وكذلك بقية الأنبياء .

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ε يختص بما بُعِث به محمد ε ، لأن ما بعث به ε نسخ جميع الأديان السابقة.

- **الإيمان** هو الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب .
- **الإحسان** : (هو أن تعبد الله كأنك تـراه فإن لم تكن تـراه فإنه يراك) كما عرفه الرسول ε ، وهـو أعلى مراتـب العبـادة وأعظمها .

وقـوله ε في تفسـير الإحسـان : (أن تعبـد الله كأنـك تـراه ...) يشـير إلى أن العبـد يعبـد الله تعـالى علـى هـذه الصـفة ، وهـو استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه ، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، كما جاء في رواية أبي هريرة :
(أن تخشى الله كأنك تراه) ، ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها .

فحقيقة الإحسان : أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنوَّر القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان ، وتتفاوت أهل هذه المقامات فيه بحسب قوة نفوذ البصائر .

م / ومنـه الـدُّعاءُ، والخـوف، والرَّجـاءِ، والتَّوكُّل، والرَّغْبـةِ، والرَّهْبـةِ، والخشـوعِ، والخَشْـيةِ، والإنابـةِ، والاسْـتعانةِ، والاستعاذة، والاستغاثةِ، والذَّبْحِ، والنَّذرِ، وغيرَ ذلك منَ العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلها لله. والدليل قوله تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) .

قوله (**ومنه**) أي من أنواع العبادة .

(**الـدعاء، والخـوف، والرجـاء، والتوكـل، والرغبـة والرهبـة، والخشـوع، والخشـية، والإنابـة، والاسـتعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها**) أي : وممـا أمـر الله بـه الـدعاء والخوف ... الخ .

وقوله : (**وغير ذلك من أنواع العبادة**) إشارة إلى أن أنواع العبادة غير محصورة بهذه الأنواع بل هي كثيرة جدًّا؛ لأن كل ما يحبه الله ويرضاه من الأوقال والأعمال الظاهرة والباطنة فهو عبادة. فالعبادة تشمل الدين كله. والحياة كلها بهذا المعنى .

قوله : **{كلها لله والدليل قوله تعالى** : (**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**) أي : كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له .

ثم ذكر الدليل، وقد سبق فيما مضى تفسير هذه الآية وأن المراد بالمساجد :

قيل : أماكن الطاعة والعبادة، أي : المساجد المعروفة . فالمعنى أنها إنما بنيت لعبادة الله وحده فلا تعبدوا فيها غيره.

وقيل : أنها أعضاء السجود التي خلقها الله تعالى ليسجد عليها العبد ، فلا يسجد بها لغيره .

و(أحداً) شاملة عامة ، نكرة في سياق النهي ، فشملت الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلا يدعى مع الله احد .

فمن صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ اللهِ فهوَ مشركٌ كافرٌ . والدليل قوله تعالى : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) .

{فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر}، أي : فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة التي ذكر المصنف رحمه الله مثل :

إن دعا غير الله تعالى من الأموات والغائبين أو رجاهم أو خافهم أو سألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو غير ذلك فهو مشرك الشرك الأكبر .

لأنه أشرك مع الله غيره. وكافر؛ لأنه جحد حقًّا لله تعالى فصرفه لغيره .

قوله : **{والدليل قوله تعالى : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)** .

(**ومن يدع**) سواء دعاء مسألة أو دعاء عبادة .

(**مع الله إلهاً آخر**) أي آلهة أخرى غير الله .

(**لا برهان له به**) أي لا حجة له به ولا دليل .

(**فإنما حسابه عند ربه**) أي جزاؤه وعقابه عند الله .

(**إنه لا يفلح الكافرون**) لا يفوز ولا ينجح من كفر .

وجه الدلالة من الآية : فسماهم كافرين لدعائهم مع الله غيره ، ففي الآية أوضح برهان على كفر من دعا مع الله غيره .

م / (ومنه الدعاء , وفي الحديث " الدعاء مخ العبادة " والدليل قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾

بدأ المصنف بذكر بعض أنواع العبادات مع أدلتها .

الدعاء : وهو من أنواع العبادة ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾

ولم يقل يستكبرون عن دعائي ، بل قال : ﴿ عن عبادتي ﴾ ، وهذا دليل على أن الدعاء عبادة ، فسماه عبادة .

وقال النبي ε : (الدعاء مخ العبادة) . رواه الترمذي ، وهو ضعيف .

ويغني عنه الحديث الآخر أن النبي ε قال : (الدعاء هو العبادة) . رواه الترمذي وأبو داود وأحمد

فالدعاء هو أن يضرع إلى الله يدعوه ويسأله النجاة ويسأله الرزق ، وكل هذا عبادة ، فإذا صرفها لصنم أو لشجر أو لحجر أو لميت صار مشركاً بالله عز وجل .

والدعاء ينقسم إلى قسمين :

دعاء مسألة : وهو دعاء الطلب ، كأن يسأل الإنسان ربه حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة .

دعاء عبادة : وهو كل عبادة يعبد بها الإنسان ربه كالصلاة والصيام ، وسميت دعاء ، لأن الغاية منها هو طلب مرضاة الله وما عنده والنجاة من النار .

(لكن دعاء الحي الحاضر القادر والاستعانة به في الشيء المقدور عليه لا بأس به ، ولا يعتبر داخلاً في الشرك) .

م / (والخوف ، والدليل : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾)

الخوف : هو الذعر ، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى .

والخوف عبادة جليلة من أعظم العبادات .

يقول تعالى : ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه** ﴾ يعظمهم في صدوركم ويوهمكم أنهم ذو بأس فنهاكم أن تخافوا أولياءه الذين خوفكم إياهم .﴿ **وخافون** ﴾ وتوكلوا علي فإني كافيكم . ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ فجعله شرطاً في صحة الإيمان .

والخوف أقسام :

الأول : **خوف السر** وهو أن يخاف من غير الله ، من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ، وهذا شرك أكبر ، كأن يخاف من صاحب قبر أن يضره أو يحل عليه عقوبة إذا لم يلجأ إليه ، أو يخاف من صاحب القبر أن يصيبه شيئاً إذا تنقص ذلك الميت .

الثاني : **الخوف الطبيعي** كأن يخاف من سبع أو ذئب فلا بأس به لقوله تعالى عن موسى (فخرج منها خائفاً يترقب) .

الثالث : **الخوف من الناس** : كأن يخاف من الناس أن يضروه إذا أمرهم ونهاهم ، وهذا مذموم .

م / (والرجاء ، ودليله: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾)

تعريفه :

هو الرغبة والطمع في الحصول على شيء مرجو ، وهو يتضمن التذلل والخضوع .

وهو عبادة ، للآية التي ذكرها المصنف .

أي من كان يرجو ثواب الله ، ويخاف عقابه ويرجو المصير إليه ويأمل لقاءه ورؤيته فليعمل عملاً صالحاً ، وهو ما كان موافقاً لشرع الله مقصوداً به وجهه .

- ويكون الرجاء توحيد إذا تعلق أمله وطمعه بالله .
- ويكون شركاً أكبر إذا توقع أو طمع من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يتوقع من مخلوق النصر ، أو تتوقع منه الولد أو الشفاء أو السلامة .

  قال تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ﴾ .
- ويكون الرجاء شرك أصغر ، كأن تتوقع وترجو الشفاء والخير من الله لكن بوسيلة محرمة ، كمن لبس حلقة أو خيطاً على أن تكون سبباً للشفاء .

  قال ع : (من تعلق تميمة فقد أشرك) .

م / (والتوكل ، ودليله : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ ومن يتوكل على الله فهو حسبه))

التوكل : هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جلب المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها.

وهو عبادة جليلة ، كما في الآية التي ذكرها المصنف .

حيث جعل التوكل شرط للإيمان .

وللتوكل فضائل :

أولاً : أهل التوكل هم أهل محبة الله .

كما قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) .

ثانياً : أهل التقوى هم أهل الإيمان والتقوى .

قال تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

وقال تعالى : (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

ثالثاً : أهل التوكل هم أهل الجنة .

قال ε : (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير) . رواه مسلم

قيل : هم المتوكلون .

وصح عنه ε : (أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب ... هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) .

رابعاً : التوكل على الله مجلبة للرزق .

قال ε : (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً) . رواه الترمذي

خامساً : المتوكلون الله حسبهم وكافيهم .

قال تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

سادساً : المتوكلون ليس للشيطان عليهم سبيل .

قال تعالى : (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

- فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله ، ويكون قادحاً في كفاية الله .

ومن جعل أكثر اعتماده على الله ملغياً للأسباب فقد طعن في حكمة الله ، لأن الله جعل لكل شيء سبباً .

والنبي ε أعظم المتوكلين على الله ، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب ، فكان يأخذ الزاد في السفر ، ولما خرج إلى أحد ظاهر بين درعين (أي لبس درعين) ، ولما خرج مهاجراً أخذ من يدله على الطريق .

م / (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾)

الرغبة : محبة الوصول إلى الشيء المحبوب .

الرهبة : الخوف المثمر للهرب من المخوف ، فهو خوف مقرون بالعمل .

الخشوع : الذل والتطامن لعظمة الله .

فهذه عبادات قلبية من أجلّ العبادات ، وصرفها لغير الله شرك أكبر .

يقول تعالى عن الأنبياء والصالحين :

﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات** ﴾ أي في عمل القربات وفعل الطاعات .

﴿ **ويدعوننا رغباً ورهباً** ﴾ أي رغبة في رحمة الله ورهباً من عذاب الله .

﴿ **وكانوا لنا خاشعين** ﴾ أي خاضعين متذللين .

فدلت الآية على أن هذه الثلاثة الأنواع من أجل أنواع العبادة ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك .

م / (والخشية ، والدليل : ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ﴾

الخشية نوع من الخوف لكنها أخص منه . **والفرق بينهما** :

1. أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله ، كقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، والخوف قد يكون من الجاهل .

2. أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي ، بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف .

وفي الآية الكريمة يقول تعالى : لا تخشوا الناس ، فإني ربكم ، واخشوني وحدي ، ونهى عن خشية غيره كما في الآية الثانية : ﴿ **فلا تخشوا الناس** ﴾ أي لا تخافوا منهم ﴿ **واخشوني** ﴾ أي خافوا مني .

فدلت الآيتان وما في معناهما : على أن الخشية عبادة من أجل العبادات ، فصرفها لغير الله شرك أكبر .

م / (والإنابة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾)

والإنابة : الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته ، وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها .

قال تعالى : ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾ أي : أقبلوا إلى ربكم وارجعوا إليه بالطاعة .

﴿ **وأسلموا له** ﴾ أخلصوا له التوحيد .

﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾ أي : بادروا بالتوبة إلى العمل الصالح قبل حلول النقمة .

وأمره عباده بالإنابة ظاهر في أنها عبادة وأنه يحبها ، فصرفها لغير الله شرك أكبر .

م / (والاستعانة ، والدليل : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وفي الحديث : " إذا استعنت فاستعن بالله " . والاستغاثة , والدليل قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾)

الاستعانة : طلب العون والمؤازرة في الأمر .

والاستغاثة : طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة .

دليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ أي : لا نعبد أحداً سواك ، فالعبادة لله وحده والاستعانة به وحده جل وعلا وتقدس .

وفي الحديث : (إذا استعنت فاستعن بالله) . رواه الترمذي

- حصر الاستعانة بالله وحده دون غيره من الخلق والدلالة على أنها أجل العبادات وعليها مدار الدين ، فإذا استعان أحد بغير الله فهو مشرك الشرك الأكبر .

- **الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق على نوعين** :

1) . الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وهذا جائز ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ .

وقال تعالى في قصة موسى υ : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ .

وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها مما يقدر عليه المخلوق .

2) . الاستغاثة والاستعانة بالأموات ، والاستغاثة بالأحياء والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى وتفريج الكربات ، ودفع الضر ، فهذا النوع غير جائز وهو شرك أكبر .

م / (والاستعاذة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾) .

- أمر الله نبيه ε أن يستعيذ بفالق الإصباح من شر جميع المخلوقات ومن شر الغاسق والحاسد .

والفلق : الصبح .

وقيل : سبب تخصيص المستعيذ به : أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم هو القادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه .

- أمر نبيه ε أن يستعيذ من الوسواس الخناس ، يعني : الشيطان الجاثم على قلب الإنسان ، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس .

والأمر بالاستعاذة به تعالى كثير في الكتاب والسنة ، ففي الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ .

قال تعالى : ﴿ معاذ الله أن أكون من الجاهلين ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ .

ومن السنة :

قوله ε : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) .

تدل على أن الاستعاذة بالله عبادة من أجل العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر .

م / (والذبح ، والدليل : ﴿ قل إن صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ ومن السنة : " لعن الله من ذبح لغير الله ")

الذبح : إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص .

(**قل**) يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره .

﴿ **إن صلاتي ونسكي** ﴾ أي : ذبحي .

﴿ **ومحياي** ﴾ أي : ما أحيا عليه من العمل الصالح .

﴿ **ومماتي** ﴾ أي : ما أموت عليه .

﴿ **لله رب العالمين** ﴾ لا شريك له في شيء من ذلك ولا في غيره من أنواع العبادات ، وهذا دليل على أن الذبح عبادة .

ومن السنة : (لعن الله من ذبح لغير الله) .

فدل الحديث على أن الذبح عبادة ، لأن الله لعن من صرفه لغيره ، والعبادة كلها مختصة بالله ، فإذا صرفها أحد لغير الله بأن ذبح للأصنام ، أو للقبور المعبودة من دون الله التماساً لشفاعة أربابها أو للنيران أو للزهرة أو نحو ذلك فهو مشرك .

والذبح يقع على وجوه :

1. أن يقع عبادة ، بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له ، فهذا لا يكون إلا لله ، وصرفه لغير الله شرك أكبر .
2. أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس ، فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً .
3. أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ، فهذا من قسم المباح .

م / (والنذر ، والدليل : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾)

النذر لغة : الإيجاب .

وشرعاً : إيجاب المكلف على نفسه ما ليس واجباً عليه شرعاً .

والنذر عبادة ، لقوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ فأثنى الله عليهم لإيفائهم بالنذر ، وهذا يدل على أن الله يحب ذلك وكل محبوبة لله من الأعمال فهو عبادة ، فمن الشرك أن تنذر لغير الله ، **مثل** : أن يقول لفلان علي نذر ، أو لهذا القبر علي نذر ، أو لجبريل علي نذر .

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً ، ولا تجب فيه الكفارة ، بل هو شرك تجب التوبة منه كالحلف بغير الله .

م / (الأصل الثاني / معرفة دين الإسلام بالأدلة ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله) .

لما فرغ المصنف رحمه الله من الأصل الأول , وشرحه وبسطه , شرع في الأصل الثاني من أصول الدين ، وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة من الكتاب والسنة .

قوله (بالأدلة)

تنبيه على أنه لا يسوغ التقليد في ذلك ، فيصير الرجل إمّعة ، بل لا بد أن يكون معه أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ε على ما خلق له ، ليكون على نور ، وبرهان ، وبصيرة من دينه .

(**وهو**) أي دين الإسلام بالأدلة يقوم على ثلاثة أسس :

الأولى :قوله (الاستسلام لله بالتوحيد)

أي أن يسلم ويخضع لله بجميع أنواع التوحيد : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

لان من معاني (أسلم) أي ذل وخضع .

الثاني : قوله (والانقياد له بالطاعة)

أي بفعل المأمورات من الطاعات ، وفعل الخيرات ، وترك المنهيات والمنكرات طاعة لله تعالى وابتغاء وجهه ، ورغبة فيما عنده وخوفاً من عقابه .

الثالث : قوله (والبراءة من الشرك)

فلا بد أن يتبرأ من الشرك ومن أهل الشرك ، في الاعتقاد والعمل والمسكن , بل من كل خصلة من خصالهم , ومن كل نسبة من النسب إليهم ، معادياً لهم أشد معاداة غير متشبه لهم في قول أو فعل .

قال تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) .

وقد قسم المؤلف البراءة إلى قسمين :

1. البراءة من العمل وهو الشرك .
2. البراءة من العامل وهو المشرك .

كيفية البراءة من هذين القسمين :

أولاً : **البراءة القلبية** ، وهي أن تبغض المشركين والشرك بقلبك وتكرههم وتتمنى زوالهم كبغض النصارى واليهود والهندوس .

وحكم هذا القسم فرض لازم ولا يمكن أن يسقط عن المسلم .

والدليل على ذلك حديث أبي مالك الأشجعي : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله تعالى) . رواه مسلم

ثانياً : **براءة اللسان** ، وذلك بالتصريح بأنك تبغض الكفار والتصريح أن دينهم باطل وأنهم كفار .

والدليل قوله تعالى : [قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون] قل : أي بلسانك .

وقوله تعالى : [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون] .

وهذا القسم واجب مع القدرة لقوله تعالى : [فاتقوا الله ما استطعتم] ويجب عليه الهجرة إن استطاع .

ثالثاً : **براءة الجوارح** ، وذلك بمجاهدتهم بالجوارح ، وتكسير معبوداتهم ومساجدهم وقتلهم .

والدليل قوله تعالى : [يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم] .

وقوله υ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...) . رواه مسلم

وهذا القسم يجب مع القدرة ويسقط مع العجز .

قوله (**وهو**) **أي الإسلام** .

قوله (**ثلاث مراتب**) سبق شرحها .

والمراتب جمع مرتبة وهي المنزلة والمكانة .

والدليل على أنه 3 مراتب :

قوله ε في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب τ حين جاء جبريل يسأل النبي ε عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وبين له ثم قال : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) . رواه مسلم

قوله (**وكل مرتبة لها أركان**)

أي وكل مرتبة من مراتب الدين الثلاث (الإسلام ، والإيمان ، والإحسان) لها أركان لا تقوم إلا عليها .

وأركان الشيء أجزاؤه في الوجود التي لا يحصل إلا بحصولها ، وداخلة في حقيقته ، سميت بذلك : تشبيهاً لها بأركان البيت الذي لا يقوم إلا بها ، فمراتب الدين لا تتم إلا بأركانها .

م / (فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان , وحج بيت الله الحرام)

دليل ذلك : حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله ε يقول : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) . متفق عليه

والمراد من الحديث :

أن الإسلام مبني على هذه الخمس ، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه ، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه ، ودعائم البنيان هذه الخمس ، فلا يثبت البنيان بدونها ، وبقية خصال الإيمان كتتمة البنيان ، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك ، بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال .

وهذه الأركان قدمها على حسب الأهمية ، فبدأ بقطبها : شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم ثنى بشهادة أن محمداً رسول الله ، وكثيراً ما تقرن بها ، ثم إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام .

فهذه مباني الإسلام التي ابتني وتركب منها . (وتأتي أدلتها) .

م / (فدليل الشهادة قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ، [لا إله] نافياً جميع ما يعبد من دون الله . [إلا الله] مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه .وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾) .

هذا شروع من المؤلف في بيان أدلة أركان الإسلام الخمسة .

والشهادة : خبر قاطع ، وأطلق المؤلف لفظ الشهادة على شهادة أن لا إله إلا الله لأنها أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به ، فلا ينصرف الإطلاق إلا إليها .

ودليلها قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ... ﴾ .

قال ابن كثير : (شهد تعالى وكفى به شهيداً ، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين .

﴿ **أنه لا إله إلا هو** ﴾ أي المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق ، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه ، وهو الغني عما سواه .

(**والملائكة**) أي والملائكة يشهدون أنه : لا إله إلا هو .

(**وأولوا العلم**) أي وأولو العلم يشهدون بذلك .

(**قائما بالقسط**) أي حال قيامه بالعدل .

(**لا إله إلا هو**) تأكيد لما سبق وإخبار بأنه الإله الحق المنفرد .

(**العزيز الحكيم**) العزيز : أي عزة القدر ، وعزة القهر ، وعزة الامتناع (الحكيم) في أقواله وأعماله .

م / قوله : ومعناها : (لا معبود بحق إلا الله) :

أي لا معبود بحق إلا الله , أي أن يعترف الإنسان بقلبه ولسانه بأنه لا معبود بحق إلا الله .

هذا هو المعنى الصحيح لهذه الكلمة .

وبعضهم فسرها بقوله : (لا خالق ولا مدبر ولا رازق إلا الله) .

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله : (وتفسيرها بهذا باطل , لأن هذا التفسير لتوحيد الربوبية فقط , وهذا أقر به المشركون ولكن لم يدخلهم في الإسلام ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم)

قوله (لا إله) نافياً جميع ما يعبد ، (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له) .

والتوحيد لا يتم إلا بركنين هما :

1. الإثبات .
2. النفي .

إذ النفي المحض تعطيل محض , والإثبات المحض لا يمنع المشاركة .

(**فلا إله إلا الله**) اشتملت على أمرين هما ركناها : النفي , والإثبات

(**فلا إله**) , نافياً وجود معبود بحق سوى الله .

(**إلا الله**) , مثبتاً العبادة لله وحده , دون كل من سواه .

والنفي المحض ليس بتوحيد , فلا بد من الجمع بين النفي والإثبات .

قوله (وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى :﴿ وإذ قال إبراهيم لألأبيه وقومه ... ﴾) .

(**وتفسيرها**) أي : تفسير شهادة لا إله إلا الله الذي بينها بياناً تاماً من القرآن , فإنه تعالى بينها في كتابه في غير موضع , ولم يَكِلْ عباده في بيان معناها إلى أحد سواه .

وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم ... ﴾

ففي هذه الآية يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله , إمام الحنفاء , ووالد من بعده من الأنبياء , أنه قال لأبيه آزر , وقومه أهل بابل , وملكهم النمرود ، وكانوا يعبدون الأصنام :

﴿ **إنني براء** ﴾ أي بريء .

﴿ **مما تعبدون** ﴾ من الأوثان , وهذا فيه معنى (لا إله) .

﴿ **إلا الذي فطرني** ﴾ أي ابتدأ خلقي وبرأني , وفي هذا معنى (إلا الله) .

فدلت الآية على ما دلت عليه (لا إله إلا الله) , فالخليل υ تبرأ من آلهتهم سوى الله , ولم يتبرأ من عبادة الله , بل استثنى من المعبودين ربه .

﴿ **وجعلها كلمةً باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾ أي : وجعل كلمة التوحيد وهي : (لا إله إلا الله) باقية في نسله وذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذريته .

﴿ **لعلهم** ﴾ لعل أهل مكة وغيرهم ﴿ **يرجعون** ﴾ إلى دين الخليل .

وقوله تهالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) .

(**قل**) أي قل يا محمد لمعشر اليهود والنصاري .

(**تعالوا**) هلموا .

(**إلى كلمة سواء**) أي إلى كلمة عادلة مستقيمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض .

(**ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً**) وهذا معنى لا إله إلا الله . عبادته سبحانه وترك الشرك .

م / (ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله) .

الدليل على شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول ...) .

يقول الله ممتناً على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم ، أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم υ :

(**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**) ، وقال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) .

(**عزيز عليه ما عنتم**) أي : يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها .

(**حريص عليكم**) أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

(**بالمؤمنين رؤوف رحيم**) كما قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وفي الحديث (نبي الرحمة) .

ومعنى الشهادة للرسول بالرسالة :

طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر .

فمن علامات الإيمان بالرسول طاعته في كل أوامر .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) .

وقال تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) .

وقد قال تعالى (وإن تطيعوه تهتدوا) .

وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

وقال ε (من أطاعني دخل الجنة) رواه البخاري .

م / (**وأن لا يعبد إلا بما شرع**) .لا بالأهواء والبدع .

فإن الأصل في العبادات التشريع والدليل ، وأي عبادة ليس عليها دليل فهي بدعة .

وقال ε (كل بدعة ضلالة) .

والبدعة تستلزم أن الرسول ε لم يبلغ الرسالة ، فهي طعن في الرسول .

والبدعة تكذيب لقول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) .

م / (**ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى** : (**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**) .

الصلاة لغة : الدعاء , ومنه قوله تعالى : (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)

وشرعاً : عبادة ذات أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم .

وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين , لحديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ε يقول : (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , وإقام الصلاة ,...) . متفق عليه

وهي عمود الدين لقوله ε : (رأس الأمر الإسلام , وعموده الصلاة , وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) . رواه الترمذي

وهي أول ما يحاسب عليه العبد لقوله ε (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ؛ فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله) . رواه الطبراني

والدليل على أنها ركن قوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) أي ما أمر الذين كفروا إلا ليوحدوا الله ، ويفردوه بالعبادة ، ﴿ حنفاء ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، وهذا تفسير التوحيد .

وأمروا أيضاً أن يقيموا الصلاة المكتوبة بأركانها وواجباتها وفي أوقاتها ، ويؤتوا الزكاة عند محلها ، وهذا هو دليل الصلاة والزكاة ، وأنهما ركنان من أركان الإسلام ، لا يستقيم بدونهما ، وكثيراً ما يقرنهما تعالى في كتابه العزيز .

م / (ودليل الصيام قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾)

الصيام لغة : الإمساك .

وشرعاً : الإمساك بنية عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

والدليل على وجوبه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

يقول الله تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة ، وآمراً لهم بالصيام ، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع ، بنية خالصة لله عز وجل ، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم ، فلهم فيهم أسوة .

وقوله ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ، ولهذا ثبت في الصحيحين : (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) .

وفي قوله : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ فوائد :

- أهمية الصيام ، حيث فرضه الله عز وجل على الأمم من قبلنا ، وهذا يدل على محبة الله عز وجل له ، وأنه لازم لكل أمة .
- التخفيف على هذه الأمة ، حيث أنها لم تكلف وحدها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان .
- الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها ، حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها .

م / (ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾) .

الحج لغة : القصد .

وشرعاً : قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص .

ودليل الحج وأنه أحد الأركان الخمسة قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ أي ولله فرض واجب على الناس ﴿ حج البيت ﴾ قصده لأداء النسك على المستطيع من الناس .

والاستطاعة : القدرة بنفسه على الذهاب ، ووجود الزاد والراحلة بعد قضاء الواجبات عليه .

وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة , وبها كانت فريضة الحج عند جمهور أهل العلم .

قال ابن كثير في تفسيره : (وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام الخمسة ودعائمه وقواعده , وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً , وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع) .

عن أبي هريرة τ قال : خطبنا رسول الله ε فقال : " أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا " فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله ε : " لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم " ثم قال : " ذروني ما تركتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم , فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " .

م / (**المرتبة الثانية : الإيمان , وهو بضع وسبعون شعبة ؛ فأعلاها قول لا إله الله , وأدناها إماطة الأذى عن الطريق , والحياء شعبة من الإيمان**)

(**المرتبة الثانية**) : أي من مراتب الدين .

الإيمان لغة : التصديق . قال تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لهم ﴾ أي : بمصدق .

وشرعاً : ذهب عامة أهل السنة إلى أن الإيمان الشرعي هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح .

وقال الإمام البغوي : (اتفقت الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان ... وقالوا : إن الإيمان قول وعمل وعقيدة) .

والنصوص عن الأئمة كثيرة جداً في قولهم : (أن الإيمان قول وعمل) , نقل كثير منما المؤلفون في عقيدة أهل السنة .

وأجمع أهل السنة على أن الإيمان يتفاضل , وجمهورهم على أنه يزيد وينقص .

- **أدلة الزيادة والنقصان** :

1) قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ .
2) قوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ .
3) قوله تعالى : ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ .
4) قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

ومن السنة قوله ε عن النساء : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ...) .متفق عليه

قوله (**وهو بضع وسبعون شعبة**)

البضع من الثلاثة إلى التسعة , والشعبة الطائفة من الشيء .

قوله (**فأعلاها قول لا إله إلا الله** ...)

هذا أصله حديث متفق عليه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ε : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة , فأفضلها قول لا إله إلا الله , وأدناها إماطة الأذى عن الطريق , والحياء شعبة من الإيمان) .رواه مسلم هكذا بالشك , ورواه البخاري بلفظ "بضع وستون" بدون شك .

- **فوائد الحديث** :

1. أن الإيمان شعب كثيرة .
2. أعلى شعب الإيمان قول لا إله إلا الله , لأنها كلمة الإخلاص , وكلمة الإسلام , وهي العروة الوثقى 0
3. أن أصغر شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق من شوك أو حجر ونحو ذلك مما يتأذى المار به 0

والأحاديث في فضل إماطة الأذى عن الطريق كثيرة **منها** :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ε : (لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين) . رواه مسلم

وفي رواية : (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأُنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأُدْخِل الجنة) .

وفي رواية لهما : (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له) .

م / (وأركانه ستة : أن تؤمن بالله)

وأركانه : أي أركان الإيمان الستة ، وهي أصوله التي تركب منها , والتي يزول بزوالها , ويكون بزوال الواحد من تلك الستة كافراً كفراً يخرج من الملة , وما عداها لا يزول بزواله , لكن منها ما يزول بزواله كمال الإيمان الواجب ، ومنها ما يزول بزواله كمال الإيمان المندوب .

كما في حديث جبريل (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .....) .

(الإيمان بالله) ويتضمن أربعة أمور

1) . الإيمان بوجود الله تعالى .

قد دل على وجوده تعالى ، الفطرة ، والعقل , والشرع ، والحس .

- أما دلالة الفطرة على وجوده : فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم .
- وأما دلالة العقل على وجوده : فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها ، إذ لا يمكن أن توجِد نفسها بنفسها .
- وأما دلالة الشرع على وجوده : فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك , وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه .
- وأما دلالة الحس على وجوده : فإننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ .

2) . الإيمان بربوبيته .

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين , قال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ .

3) . الإيمان بألوهيته .

أي بأنه الإله الحق لا شريك له .

4) . الإيمان بأسمائه وصفاته .

أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ε من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ .

م / (وملائكته)

الملائكة : عالم غيبي مخلوقون عابدون لله تعالى , وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء , خلقهم الله من نور , ومنحهم الانقياد التام لأمره . قال تعالى : ﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون , يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ .

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى , وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس τ في قصة المعراج أن النبي ε رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم .

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور :

1). الإيمان بوجودهم .

2). الإيمان بما علمنا اسمه منهم كجبريل , ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً .

3). الإيمان بما علمنا من صفاتهم كصفة جبريل ، فقد أخبر النبي ε أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق .

4). الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل .

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة , **مثل** :

جبريل : الأمين على وحي الله .

ميكائيل : الموكل بالقطر , أي بالمطر والنبات .

إسرافيل : الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة .

ملك الموت : الموكل بقبض الأرواح عند الموت .

ومثل : الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره .

م / (وكُتُبِهِ)

الكتب : جمع كتاب بمعنى مكتوب .

والمراد بها هنا : الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق , وهداية لهم .

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور :

1) الإيمان بنزولها من عند الله حقاً .

2) الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه , كالقرآن والتوراة والإنجيل , وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً .

3) تصديق ما صح من أخبارها , كأخبار القرآن , وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة .

4) العمل بأحكام ما لم ينسخ منها , والرضا والتسليم به .

(ورسله)

الرسل : جمع رسول , وهو من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه .

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور :

1) الإيمان بأن رسالتهم حق من الله , فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع .

2) الإيمان بما علمنا اسمه منهم باسمه , مثل : محمد , ونوح , وإبراهيم , وعيسى ... وأما ما لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً .

3) التصديق بما صح عنهم من أخبارهم .

4) العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم .

م / (واليوم الآخر)

اليوم الآخر : يوم القيامة الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء , وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن : الإيمان بما يكون بعد الموت :

ما يكون في البرزخ , وبالحساب , والميزان , والجنة , والنار , والإيمان بعذاب القبر ونعيمه , وأكبر ذلك وأعظمه ، الإيمان ببعث هذه الأجساد , وإعادتها كما كانت أجساداً بعظامها وأعصابها .

قوله (وتؤمن بالقدر ...)

القدر : تقدير الله تعالى للكائنات , حسبما يبق به علمه واقتضته حكمته .

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

1) الإيمان بأن الله علم بكل شيء جملة وتفصيلاً , أزلاً وأبداً .

2) الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ .

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى : ﴿ أ لم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ .

3) الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى , قال تعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾

4) الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله , قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ .

م / (والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾)

أي الدليل على هذه الأركان الستة .

﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم** ... ﴾ أي ليس البر كله أن تصلوا إلى بيت المقدس عندما حولوا إلى بيت الكعبة .

﴿ **ولكن البر من آمن بالله** ﴾ أي بتفرده جل وعلا بالربوبية والألوهية , والأسماء والصفات .

﴿ **واليوم الآخر** ﴾ أي بالبعث بعد الموت والحساب والحشر .

﴿ **والملائكة** ﴾ أي بوجودهم , وأشرفهم السفرة .

﴿ **والكتاب** ﴾ أي بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء .

﴿ **والنبيين** ﴾ أي : وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى آخرهم .

ودليل القدر وأنه ركن من أركان الإيمان لا يستقيم الإيمان إلا به , قوله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾.

قال ابن كثير في تفسيره : (يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه بالأشياء قبل كونها , وكتابته لها قبل تبرمها) .

م / (المرتبة الثالثة : الإحسان ، وهو ركن واحد ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه , فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ والدليل من السنة حديث جبريل المشهور ، عن عمر τ قال: قال جبريل للرسول ε: " ... فأخبرني عن الإحسان ، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ").

المرتبة الثالثة من مراتب الدين : الإحسان , وقد سبق معناها (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

(**أن تعبد الله كأنك تراه**) أي أن تعبد الله العبادة البدنية كالصلاة أو المالية كالذبح كأنك تشاهد معبودك الذي قمت بين يديه وقربت له القربان وأطعته فيما أمرك به .

(**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) أي وإن لم تعبده على استحضار الدرجة الأولى ، درجة المراقبة ، فاعلم أنه يراك ، سميع عليم بصير ، مطلع على جميع خفياتك .

فهذه درجتان ، إحداهما أكمل من الأخرى ، فإن لم تحصل عبادة الله كأنك تشاهده ، فاعبده على مرأى من الله ، وأنه سميع عليم بجميع ما تفعله .

والدليل قوله تعالى : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ أي أن الله عز وجل مع عباده الذين اتقوا المنهيات , والذين هم محسنون في العمل , يحفظهم ويكلؤهم ويؤيدهم , وهذه معية خاصة .

م / والدليل من السنة : حديث جبريل المشهور الطويل عن عمر τ أيضاً قال : (بينما نحن جلوس عند رسول الله ε ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي ε ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ε : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه ! قال : فأخبرني عن الإيمان .قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " .قال : صدقت .قال : فأخبرني عن الإحسان .قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

قال : فأخبرني عن الساعة .قال : " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " .قال : فأخبرني عن أماراتها .قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " .ثم انطلق ، فلبثت ملياً ، ثم قال : " يا عمر أتدري من السائل ؟ " .قلت : الله ورسوله أعلم .قال : " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " .   رواه مسلم

- حديث جبريل هذا يدل على أن مراتب الدين هي : الإسلام ، الإيمان ، الإحسان ، وفي آخر الحديث قال النبي ε : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .
- وفي حديث جبريل هذا على أن الإسلام إذا اجتمعا فكل واحد معنى ، فالإسلام الأعمال الظاهرة ، والإيمان الأعمال الباطنة ، ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) .

م / (الأصل الثالث : معرفة نبيكم محمد ε , وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم , وهاشم من قريش , وقريش من العرب , والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل υ .

وله من العمر ثلاث وستون سنة , منها أربعون قبل النبوة , وثلاث وعشرون نبياً رسولاً ، نبئ بإقرأ وأرسل بالمدثر , وبلده مكة وهاجر إلى المدينة)

(**الأصل الثالث**) أي من الأصول التي يجب على الإنسان معرفتها .

لأنه ε هو الواسطة بين الله وبين عباده ، وعن طريقة يعرف الناس دينهم .

▪ **نسبه : قال ابن القيم في زاد المعاد (1/71)** :

(وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة , وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك , ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم , فأشرف القوم قومه , وأشرف القبائل قبيلته ، وأشرف الأفخاذ فخذه . فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم , وهاشم من قريش , وقريش من العرب , والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وهذا لا خلاف فيه) .

▪ **متى ولد ؟**

ولد سيد المرسلين ε بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين / التاسع من شهر ربيع الأول / عام الفيل .

وقيل في الثاني عشر من ربيع الأول .

فلما كمل له أربعون , أشرق عليه نور النبوة , وأكرمه الله تعالى برسالته , وبعثه إلى خلقه , ولا خلاف في أن مبعثه ε كان يوم الاثنين .

م / (**وله من العمر ثلاث وستون**) .

جاء في الحديث عن عائشة (أن النبي ε مات وله من العمر ثلاث وستون)

م / (**منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً**) .

فقد جاء في الحديث عن أنس (أن النبي ε أنزل عليه وهو ابن أربعون سنة) .

فإذا كان الرسول مات وعمره (63) سنة ، وثبت في حديث أنس أن النبي ε أنزل عليه وهو ابن أربعون ، فهذا يدل على أن مدة النبوة : 23 سنة .

م / (**نبئ بإقرأ**) أي كان نبياً حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق , خلق الإنسان من علق , اقرأ وربك الأكرم , الذي علم بالقلم ... ﴾ حيث جاءه الملك وهو في غار حراء , وكان يحب الخلوة فيه .

م / (**وأرسل بالمدثر**) أي صار رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر , قم فأنذر , وربك فكبر , وثيابك فطهر , والرجز فاهجر ... ﴾ فقام υ فأنذر وقام بأمر الله .

وفي قول المصنف (نبيء بإقرأ وأرسل بالمدثر) دليل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول وهو كذلك :

الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه .

النبي هو من لم يأت بشرع جديد وإنما جاء بشرع من قبله ، وأرسل إلى قوم مؤمنين .

وأما قول من قال : إنه من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فقول ضعيف .

م / (**بلده مكة**) .

أي ولد بها ونشأ فيها إلا ما كان منه وهو مع مرضعته السعدية في البرية , ثم رجع إليها في حضانة جده , ثم عمه , وأوحي إليه بها , وبقي بها ثلاث عشرة سنة بعد أن أوحي إليه .

قال ابن القيم : ولا خلاف في أنه ولد في جوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل .

م / (**وهاجر إلى المدينة**) .

لما قررت قريش قتل النبي ε نزل جبريل إليه بوحي ربه تبارك وتعالى , فأخبره بمؤامرة قريش , وأن الله قد أذن له في الخروج .

قال ابن القيم في زاد المعاد (1/101) :

(ثم أذن الله لرسوله ε في الهجرة , فخرج من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول , وقيل في صفر , وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة , ومعه أبو بكر الصديق , وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر , ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي , فدخل غار ثور هو وأبو بكر , فأقام فيه ثلاثاً , ثم أخذ على طريق الساحل , فلما انتهوا إلى المدينة ...) . أ . هـ

وتوفي υ يوم الاثنين /12/ربيع الأول/11هـ , وقد تم له ثلاث وستون سنة , وذلك بعد أن تكاملت الدعوة , وسيطر الإسلام على الموقف .

م / (بعثه الله بالنذارة عن الشرك , ويدعو إلى التوحيد , والدليل قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر , قم فأنذر وربك فكبر , وثيابك فطهر , والرجز فاهجر , ولا تمنن تستكثر , ولربك فاصبر ﴾ ومعنى : ﴿ قم فأنذر ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظمه بالتوحيد ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك ﴿ والرجز فاهجر﴾ الرجز : الأصنام , وهجرها تركها .

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد) .

ذكر المصنف رحمه الله جملة مما يعرف به النبي ε , وأعظمها وأعلاها : معرفة ما بعث به النبي ε , وأنه بعث بالنذارة عن الشرك , والدعوة إلى التوحيد .

وقدم المصنف النذارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد لأن هذا مدلول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، ولأن الآية الآتية تقتضي ذلك , فبدأ بجانب التوحيد لكون العبادة لا تصح مع وجود المنافي , فلو وجدت والمنافي لها موجود لم تصح , ثم ثنى بالتوحيد , لأنه أوجب الواجبات , ولا يرفع عمل إلا به .

وقوله ﴿ يا أيها المدثر ... ﴾ هذه أول آية أرسل بها , وأول أمر طرق سمعه في حال إرساله ε وذلك أنه ε لما رأى الملك الذي جاءه بحراء حين أنزل عليه (اقرأ) رعب منه ، فأتى أهله فقال : (دثروني) فأنزل الله ﴿ يا أيها المدثر ﴾ .

(**يا أيها المدثر**) أي المدثر بثيابه , المستغشي بها من الرعب الذي حصل له من رزية الملك عند نزول الوحي .

(**قم فأنذر**) أي من دثارك , فأنذرهم وحذرهم من عذاب ربك إن لم يؤمنوا , وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة .

﴿ **وربك فكبر** ﴾ أي عظم ربك عما يقوله عبدة الأوثان .

﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ أي نفسك طهرها عن الذنوب , كنى النفس بالثوب لأنها تشتمل عليه ، وهذا قول المحققين من أهل التفسير .

﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ أي اترك الأوثان ولا تقربها .

﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ أي لا تمنن بعملك على ربك تستكثره ، **وهذا اختيار ابن جرير** . **وقيل** : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، **وقيل** : لا تعط العطية تلتمس أكثر منها .

﴿ **ولربك فاصبر** ﴾ أي على طاعته وأوامره ، أو على ما أوذيت في الله .

م / (أخذ على هذا عشر سنين ...)

أي أخذ رسول الله ε في بيان التوحيد والدعوة إليه ، وبيان الشرك والإنذار عنه والتحذير منه عشر سنين ، قبل فرض الصلاة التي هي عماد الدين ، وقبل بقية الشرائع ، وبهذا يتبين لك :

أن حقيقة ما بعث به النبي ε ودعت إليه الرسل كلهم ، هو الإنذار عن الشرك والنهي عنه , والدعوة إلى التوحيد وبيانه وتوضيحه :

كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل قرية رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

م / (وبعد العشر عرج به إلى السماء) .

الإسراء لغة : السير بالشخص ليلاً . **وشرعاً** : سير جبريل بالنبي ε من مكة إلى بيت المقدس .

والمعراج : الآلة التي تعرج بها , وهي المصعد . **وشرعاً** : السلم الذي عرج به رسول الله ε من الأرض إلى السماء .

قصة الإسراء والمعراج :

- **الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن والسنة .**

قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) .

والأحاديث كثيرة في ذلك .

- **ملخص ما حدث :**

أن النبي ε أتي بالبراق حتى جاء بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء ، فوجد في السماء الأولى **آدم** ، وفي السماء الثانية **عيسى ويحيى** ، وفي السماء الثالثة **يوسف** ، وفي السماء الرابعة **إدريس** ، وفي السماء الخامسة **هارون** ، وفي السماء السادسة **موسى** ، وفي السماء السابعة **إبراهيم** مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم رجع من ليلته ...) . متفق عليه

- **وقت الإسراء والمعراج :**

كان من مكة باتفاق أهل العلم ، وبنص القرآن والسنة المتواترة , كما قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾) . (مجموع الفتاوى 3 / 387)

- وكان ذلك بعد المبعث وقبل الهجرة بالاتفاق . (لكن لا يعرف أي سنة بالتحديد : فقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقبل بسنتين وقيل بسنة .

- **جماهير أهل السنة أن الإسراء والمعراج كان بروحه وجسده يقظة مرة واحدة لا مناماً .**

فالأكثرون من العلماء أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً .

ومما يدل على أن الإسراء بجسده وروحه في اليقظة :

قوله تعالى :﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ ، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح ، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح) .

- عاد رسول الله ε من ليلته .

م / (**وفرضت عليه الصلوات الخمس**) .

أي فَرض الله تعالى على عبده ورسوله محمد ε وعلى أمته الصلوات الخمس في هذه الليلة (ليلة الإسراء والمعراج) .

ففي حديث الإسراء (ففرض الله عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك ...... الحديث فمازال يراجع بين الله وبين موسى حتى قال الله : يا محمد ! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر فلذلك خمسون صلاة) .

م / (وصلى في مكة ثلاث سنين) .

أي فيكون الإسراء – على رأي المؤلف – قبل الهجرة بثلاث سنين .

وكان ε يصلي الرباعية ركعتين ثم في المدينة أتمت صلاة الحضر وبقيت صلاة السفر .

عن عائشة قالت (فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر النبي ε ففرضت أربعاً وتُركت صلاة السفر على الأول) متفق عليه .

م / (وبعدها) أي بعد الثلاث عشرة من بعثته ε ؛ لأنه صلى بعد العشر ثلاث سنين بمكة .

عن ابن عباس –رضي الله عنهما – قال : " بعث رسول الله ε لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين) رواه البخاري .

م / (أمر بالهجرة إلى المدينة ، والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة والدليل قوله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً , إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴾) وقوله تعالى : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ .

أمر ε بمفارقة المشركين وأوطانهم , بحيث يتمكن من إظهار دينه , والدعوة إلى الله في غير بلادهم ، فإن ذلك واجب فرض , وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

والهجرة واجبة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

والدليل قوله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم .....) .

قال ابن كثير في تفسيره (1/555) :

(قال الضحاك : نزلت في ناس من المنافقين ، تخلفوا عن رسول الله ε بمكة وخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فأصيبوا فيمن أصيب ، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين , فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع , وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ أي بترك الهجرة ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ أي لما مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة) .

ومن الأدلة قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ....) .

في هذه الآية : أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين , وأخبر أن الأرض غير ضيقة بل واسعة , تسع جميع الخلائق , فإذا كان الإنسان في أرض ولم يتمكن من إظهار دينه فيها , فإن الله قد وسع له الأرض ليعبده فيها كما أمر .

من السنة :

عن معاوية τ قال : قال رسول الله ε : (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة , ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) . رواه أبو داود

معنى قوله : (**لا تنقطع التوبة** ...) أي لا تنقطع الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام إلى يوم القيامة .

عن ابن عباس τ قال : قال رسول الله ε : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) . متفق عليه

جاء في تحفة الأحوذي (5/214) وغيره : (لا هجرة بعد الفتح) أي فتح مكة .

قال الخطابي : (كانت الهجرة فرضاً على من أسلم) .

– أقسام الناس في الهجرة :

القسم الأول : **من تجب عليه الهجرة** .

وهو من يقدر عليها ، ولا يمكنه إظهار دينه .

للأدلة التي ذكرها المصنف .

القسم الثاني : **من تستحب له ولا تجب عليه** .

وهو من يقدر عليها لكنه متمكن من إظهار دينه ، فتستحب له ليتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين ومعاونتهم .

القسم الثالث : **من لا هجرة عليه** .

وهو من يعجز عنها لمرض ، أو إكراه على الإقامة ، أو ضعف من النساء والولدان .

م / (والدليل على الهجرة من السنة قوله ε : " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ") .

فإذا طلعت الشمس من مغربها فهو أوان قيام الساعة , وهي أقرب علاماتها , وإذا طلعت لم تقبل توبة ، قال تعالى : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ﴾ والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها .

فدل على أنها تقبل قبل طلوع الشمس من مغربها , وما دامت تقبل التوبة فلا تنقطع الهجرة .

وفي الحديث : (أنا بريء من مسلم بات بين ظهراني المشركين) . رواه الترمذي

وقال ε : (الهجرة باقية ما قوتل العدو) .

م / (فلما استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل : الزكاة , والصوم , والحج والجهاد , والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

أي لما هاجر من مكة إلى المدينة , واستقر بها , وفشا التوحيد ودان به أولئك وأقاموا , أمر ببقية شرائع الإسلام التي تعبّد الله به خلقه ، إذ عامة شرائع الإسلام لم تشرع إلا في المدينة .

- **أما الصيام :**

فقال ابن القيم في زاد المعاد (2/3) :

(وكان فرضه ـ أي الصيام ـ في السنة الثانية من الهجرة ، فتوفي رسول الله ε وقد صام تسع رمضانات) .

- **وأما الزكاة** :

فظاهر كلام المؤلف أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة .

وذهب بعض العلماء إلى أن الزكاة فرضت أولاً في مكة ، لكنها لم تقدر أنصابها ولم يقدر الواجب فيها , وفي المدينة قدرت الأنصاب وقدر الواجب .

واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سور مكية , مثل قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ .

- **وأما الحج** :

فقد فرض في السنة التاسعة من الهجرة على الراجح .

قال ابن القيم في زاد المعاد (2/101) : ولما نزل فرض الحج , بادر رسول الله ε إلى الحج من غير تأخير , فإن فرض الحج تأخر إلى سنة تسع أو عشر , وأما قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديبية فليس فيها فرضية الحج , وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما , وذلك لا يقتضي الوجوب) .

(**والجهاد**) والجهاد فرض بعد الهجرة كما ذكر المصنف. وقبلها لم يأذن الله للمسلمين بالجهاد في مكة ولا فرضه عليهم؛ لأنهم عاجزون ضعفاء ليس لهم شوكة يتمكنون بها من القتال. فلما هاجروا إلى المدينة وقامت الدولة الإسلامية أمروا بالجهاد قال تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) أي لم يفرض الجهاد إلا بالمدينة (والمراد بالجهاد هنا : جهاد الكفار خاصة) .

م / (أخذ على هذا عشر سنين , وبعدها توفي ε ، ودينه باق) .

(**أخذ**) أي النبي ε .

(**عشر سنين**) بعد هجرته ε ، توحى إليه الشرائع ، أركانها وواجباتها ومستحباتها وما ينافي ذلك .

(**وبعدها توفي ε**) لما تكاملت الدعوة , وسيطر الإسلام على الموقف , أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء من مشاعره ε , وتتضح بعباراته وأفعاله .

قال ابن كثير : لا خلاف أنه ε توفي يوم الاثنين، والمشهور أنه في الثاني عشر من ربيع الأول .

م / (ودينه باق) أي : لأنه دين عام إلى يوم القيامة للبشرية كلها.

بينما الأديان السابقة كانت مؤقتة بأوقات معينة انتهت بنهايتها. ولما كان الإسلام دينًا عامًا لجميع البشرية وجب الإيمان بالرسول ε على جميع الثقلين الجن والإنس من اليهود والنصارى وغيرهم .

م / (وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه , والخير الذي دل عليه : التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه , والشر الذي حذر منه : الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه ، وأكمل الله به الدين ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾) .

قال ε (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم) رواه مسلم .

وأخرج الطبراني عن أبي ذر قال (تركنا رسول الله ε وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً ، قال : فقال رسول الله ε : ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم) .

فهذا الحديث النبوي الشريف فيه التصريح الجلي الواضح بأن كل ما يقرب إلى الجنة قد بينه لنا رسول الله ε ، وأن كل ما يباعد من النار إلا وقد بينه لنا رسول الله ε ، فأي إحداث أو ابتداع إنما هو استدراك على الشريعة ، وجرأة قبيحة يُنادي بها صاحبها أن الشريعة لم تكْفِ ولم تكتمل فاحتاجت إلى إحداثه وابتداعه .

وهذا ما فهم تماماً أصحاب النبي ε فقد قال ابن مسعود (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) .

(**وأكمل به**) أي بالرسول ε .

(**الدين**) أي الإسلام ، فهو آخر الأنبياء وخاتمهم وأتم الله به الملة .

قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

هذه الآية تدل على تمام الشريعة وكمالها وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق .

قال ابن كثير : هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم ε ، ولهذا جعله اله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه .

م / (بعثه الله إلى الناس كافة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس)

(**بعثه الله**) أي أرسله إلى الناس ، فالرسول مرسل لجميع الناس .

(**كافة**) أي جميعاً .

- **الأدلة** :

قال الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً ﴾ .

وقال رسول الله ε : (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) . متفق عليه

وقال ε : (لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا دخل النار) . رواه مسلم

وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الإنس والجن بإجماع المسلمين , وقرن طاعته بطاعة الله في غير موضع من كتابه ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ .

م / (والدليل على موته ε ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾)

أي إنك يا محمد ستموت ، وقام أبو بكر τ لما توفي رسول الله ε يبكي ، وقال : (بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها) .

وقال تعالى : ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ .

نعم ، هو حي ε في قبره ، حياة برزخية ، أعلى وأمل من حياة الشهداء المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

وأما الحياة الجثمانية فلا ريب أنه مات ε ، وغسل وكفن وصلي عليه ، ودفن في ضريحه بالمدينة ، فموته ε معلوم بالسمع والمشاهدة ، مشهور يعلمه العام والخاص ، لا يمتري فيه إلا مكابر .

م / (والناس إذا ماتوا يبعثون)

الإيمان بالبعث أحد أركان الإيمان الستة ، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين .

قال تعالى : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ .

وقال ε : (يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً) . متفق عليه

وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة ، حيث تقتضي أن يجعل الله لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله ، قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ .

وقال تعالى لنبيه ε : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ .

م / (ومن كذب بالبعث فقد كفر) .

لأنه مكذب للقرآن الكريم .

لقوله تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ فكفرهم الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ، ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ .

وقد ذكر الله تعالى في سورة البقرة خمس حوادث تدل على قدرة الله على البعث :

1) قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ .
2) وقال تعالى في قصة البقرة : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾
3) وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ .
4) وقال تعالى : ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي الله هذه بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ .

5) وقال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .

م / (وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾) .

الإيمان بالحساب ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

قال تعالى : ﴿ إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

وصح عن النبي ε : (أن من همّ بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأن من همّ بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة) .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة ، فإن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه ، فلو لم يكن حساب ولا جزاء ، لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب عنه ، وقد أشار إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ .

م / (وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين

الرسول : من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه .

بين المؤلف أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ﴾ يبشرون من أطاعهم بالجنة ، وينذرون من خالفهم بالنار .

اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها ، وهو التوحيد بأن يفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقاداً وقولاً وعملاً ، ويكفر بكل ما يعبد من دون الله .

قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ .

وأما الفروض المتعبدة بها فقد يفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها ، ما لا يفرض على الآخرين ، ويحرم على هؤلاء ما يحل للآخرين .

قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ .

قال ابن عباس τ : ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ سبيلاً وسنة) .

م / (وأولهم نوح υ ، وآخرهم محمد ε ، وكل أمة بعث إليها رسولاً يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت) .

أولهم نوح υ .

قال تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ .

وقال تعالى : ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم ﴾ .

وفي حديث الشفاعة (يأتي الناس إلى نوح فيقولون له : أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض) .

وآخرهم محمد ε .

قال تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

وقال رسول الله ε : (إنه سيكون بعدي كذابون ثلاثون كلهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي) رواه الترمذي

م / (وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . قال ابن القيم : الطاغوت : ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)

أراد شيخ الإسلام بهذا أن يبين أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت

والطاغوت : مشتق من الطغيان , وهو مجاوزة الحد ، فكل من يتجاوز الحد الذي يحد له يعتبر طاغوتاً .

وأجمع تعريف ما قاله ابن القيم وهو : (ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع) .

(كل ما تجاوز به العبد حده) ومعنى كل ما تجاوز به العبد حده، أي : تعدى به العبد قدره الذي ينبغي له في الشرع فهو طاغوت .

(من معبود) يعني : سواء كان هذا التعدي بكون هذا الإنسان عُبد من دون الله فصار معبودًا فمن صُرِف له شيء من أنواع العبادة وهو مقر بذلك وراض به فإنه طاغوت؛ لأنه تجاوز حده وقدره في الشرع؛ لأن حده في الشرع أن يكون عابدًا لله تعالى لا أن يكون معبودًا فإذا رضي أن يكون معبودًا فقد تجاوز حده .

(أو متبوع) هذا يدخل فيه الكهان والسحرة الذين يُتبعون فيما يقولون. كما يدخل في هذا علماء السوء الذين يدعون إلى الكفر أو إلى الضلال أو إلى البدع أو يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام والاستعاضة عنها بالقوانين الوضعية فهؤلاء كل واحد منهم يصدق عليه أنه طاغوت؛ لأنه تجاوز حده، وهذا التجاوز في كونه متبوعًا يشرع .

(أو مطاع) هذا يدخل فيه الحكام والأمراء والخارجون عن طاعة الله تعالى، الذين يحرمون ما أحلَّ الله، أو يحلون ما حرم الله، فهم بهذا المعنى طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا حدهم بكونهم هيأوا أنفسهم لأن يطاعوا في غير طاعة الله تعالى. هذا معنى التعريف الذي ذكره ابن القيم .

- لا يتم التوحيد إلا بتوحيد الله والكفر بما سوى الله .

قال الشيخ السعدي : (وحقيقة تفسير التوحيد : العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له **وذلك يرجع إلى أمرين** :

1) نفي الألوهية كلها عن غير الله .

2) إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ .

﴿ **فمن يكفر بالطاغوت** ﴾ يعني : يتبرأ منه ، ويعتقد بطلانه .

﴿ **ويؤمن بالله** ﴾ يعني : يصدق أن الله معبوده وإلهه الحق .

﴿ **فقد استمسك** ﴾ يعني : استعصم .

﴿ **بالعروة الوثقى** ﴾ وهي : (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد ، يعني : فقد استمسك بالعروة التي لا انقطاع لها.

قال تعالى : ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مئاب ﴾ .

وهذه الآية هي معنى (لا إله إلا الله) ، فدلت الآية على أنه لا بد في الإسلام من النفي والإثبات ، فيثبت العبادة لله وحده ، وينفي عبادة ما سواه .

وقال ع في الصحيح : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)

قال المصنف في كتاب التوحيد : (وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ...) .

م / (**والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله**) .

قوله (**والطواغيت كثيرة**) أي إذا عرفت ما حده ابن القيم بتحقق ، تبين أن الطواغيت كثيرة جداً من بني آدم بلا حصر ، وذلك أن كل من تجاوز حده في الشرع ، صار بخروجه منه وتجاوزه طاغ .

- **وأكبر الطواغيت بالاستقراء والتأمل خمسة** :

[1] . إبليس لعنه الله .

وهو رأسهم الأكبر ، وهو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له : ﴿ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ .

[2] . ومن عبد وهو راض .

أي من عبد من دون الله وهو راض بتلك العبادة من العابد ، بأي نوع من أنواعها ، فهو طاغوت ، وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك .

[3] . ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه .

أي من دعا إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت ، سواءً أجيب لما دعا إليه أم لم يُجَبْ ، وهذا ينطبق على بعض مشائخ الصوفية الذين يقرون بالغلو ويفرحون به .

[4] . ومن ادعى شيئاً من علم الغيب .

من ادعى شيئاً من علم الغيب فهو كافر ، لأنه مكذب لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ ، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمداً ε أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل في هذا الخبر .

[5] . ومن حكم بغير ما أنزل الله .

كمن يحكم بقوانين الجاهلية ، والقوانين الدولية ، بل جميع من حكم بغير ما أنزل الله سواء كان بالقوانين ، أو بشيء مخترع، وهو ليس من الشرع ، فهو طاغوت من أكبر الطواغيت .

فمن لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به ، أو احتقاراً له ، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه ، وأنفع للخلق ، أو مثله فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة .

قال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ ألم تر إلى الذين آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ...﴾ إلى أن قال : ﴿ ... فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ، أقسم الله عز وجل بنفسه ، أنهم لا يؤمنون حتى يستكملوا **ثلاثة أشياء** :

(1) أن يحكموا الرسول ε في جميع الأمور .

(2) أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضى به .

(3) أن يسلموا تسليماً كاملاً لحكمه .

وينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يعلم أن حكم الله ورسوله مقدم على كل حكم ، فما من مسألة تقع بين الناس إلا ومردها إلى حكم الله ورسوله .

وكيف يرضى العاقل أن تجرى عليه أحكام المخلوقين التي هي نخاثة أفكار ، وزبالة أذهان ، بدلاً من حكم الله الذي أنزله على رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وقد تغيرت الأحوال . خصوصاً في هذا الزمان . فاعتاضوا عن كلام الله ورسوله ، وحكم الله ورسوله ، بآراء اليهود والنصارى الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ورضوا بتحكيم آراء الرجال .

ولله در العلامة ابن القيم **حيث يقول** :

والله ما خوفي الذنوب فإنها	لعلى سبيل الله العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب عن	تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضاً بآراء الرجال وخرصها	لا كان ذاك بمنّة المنان

م / (وفي الحديث : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) .

(**رأس الأمر**) رأس الدين الذي جاء به محمد ε هو الإسلام وهو : الاستسلام لله ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك .

(**وعموده الصلاة**) وهذا فيه عظم شأن الصلاة ، وأنها من الدين بهذا المكان العظيم ، وهو أن مكانها من الدين مكان العمود من الفسطاط ، فكما أن عمود الفسطاط إذا سقطت سقط الفسطاط ، فكذلك إذا فقدت الصلاة سقط دين تاركها ، ولم يبق له دين .

(**وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**) ذروة الشيء أعلاه ، وذروة البعير أعلاه ، وهذا يفيد أن الجهاد هو أعلى وأرفع خصال الدين ، وذلك أن فيه بذل المهج التي ليس شيء أنفس منها ، ولا يعادلها البتة ، فيبذل مهجته ويبذل ماله لظهور الدين وتأييده وجهاد الكفار والمنافقين ، فبذلك استحق أن يكون من الدين بهذا المكان ، قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ﴾ .

قوله (**وفي الحديث**) هو حديث رواه الترمذي في كتاب الإيمان برقم (6/26) وهو :

عن معاذ بن جبل τ قال : كنت مع النبي ε في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني من النار ، فقال : " لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت " ثم قال : " ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل ، قال : ثم تلا : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ يعلمون ﴾ ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه وقال : كُفَّ عليك هذا ، فقلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .

B